

المشابهة والاضافة للتخفيف فلا ينافي أن الاصل في الاسماء عدم الاعمال والاعمال عارض للشبه والوصف عند اعماله واضافته للتخفيف صالح للحال والاستقبال واذا أريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس وهو هنا على ما قيل للحال لمقارنة يخشى ولا ينافي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم منذر في الماضي والمستقبل حتى يقال المناسب لحال الرسالة الاستمرار ومثله يجوز فيه الاعمال وعدمه ثم المراد بالحال حال الحكم لا حال التكلم وفي ذلك كلام في كتب الاصول فلا تغفل والله تعالى أعلم

سورة عبس

وتسمى سورة الصاخة وسورة السفرة وسميت في غير كتاب سورة الاعمى وهي مكية بلا خلاف وأبيها اثنتان واربعون في الحجازي والكوفي واحدى واربعون في البصرى واربعون في الشامي والمدني الاول ولما ذكر سبحانه فيما قبلها انما أنت منذر من يخشاها ذكر عز وجل في هذه من ينفعه الانذار ومن لم ينفعه فقال عز من قائل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ إِنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝) الخ روى أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي القرظي وقيل عبد الله بن عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري والاول أكثر وأشهر كما في جامع الاصول وأم مكتوم كنية أمه واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية وظلقت الزمخشري في جعلها في الكشاف جدته وكانت أعمى وعمى بعد نور وقيل ولد أعمى ولذا قيل لامه أم مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صنابير قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأميمة بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئتى وعلقتى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبتى فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فكان يصلى بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن أهل العلم بالسيرة ثم استخلف بعده أبا ليابة وهو من المهاجرين الاولين هاجر على الصحيح قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووم القرظي في زعمه أنه مدني وأنه لم يجتمع بالسنن المذكورين من أهل مكة وموته قيل بالقادسية شهيدا يوم فتح المدائن أيام عمر رضى الله تعالى عنه وراه أنس يومئذ وعليه درع وله راية سوداء وقيل رجع منها الى المدينة فمات بهارضى الله تعالى عنه وضمير عبس وما بعده للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بضمير الغيبة اجلال به صلى الله تعالى عليه وسلم لا يهام ان من صدر عنه ذلك غيره لانه لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كما أن في التعبير عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بضمير الخطاب في قوله سبحانه (وَمَا يُدْرِيكَ أَعْمَلُكُمُ يُزَكِّي) ذلك لما فيه من الايناس بعد الايحاش والاقبال بعد الاعراض والتعبير عن ابن أم مكتوم بالاعمى للاشعار بمذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتشاغله بالقوم وقيل ان الغيبة أولا والخطاب ثانيا لزيادة الانكار وذلك كمن يشكو الى الناس جانيا حتى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حوى على الشكاية مواجها بالتوبيخ والزمام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك لانه وصف يناسب الاقبال عليه والتعطف وفيه أيضا دفع ايهام الاختصاص بالاعمى المدين وإيماء الى أن كل

ضعيف يستحق الاقبال من مثله على - الملوب لا يقضى القاضى وهو غضبان وأن تقدير حرف الجر أعني لام التعليل وهو معمول لاول الفعلين على مختار الكوفيين وثانيهما على مختار البصريين وكلاهما على مذهب الفرقة نعم هو بحسب المعنى لهما بلا خلاف أى عيس لان جاءه الاعمى وأعرض لذلك وقرأ زيد بن على عيس بتشديد الباء للمبالغة لا للتعدية وهو والحسن وأبو عمران الجوني وعيسى آن بهمة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققين والهمزة في القرائتين للاستفهام الانكارى ويوقف على تولى والمعنى الا ان جاء الاعمى فعل ذلك وضمير لعله للاعمى وانظاه ان الجملة متعلقة بفعل الدراية على وجه سد مسد مفعوله أى أى شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوصار الائم (أو يَدَّ كُرُ) أى يتعظ (فَتَنْفَعُهُ الذُّ كُرَى) أى ذكراك وموعظتك والمعنى انك لا تدرى ما هو مترقب منه من ترك أو تذكر ولو دريت لما كان الذى كان والغرض نفي دراية أنه يزكى أو يذكر والترجى راجع الى الاعمى أو الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قيل دلالة على ان رجاء تزكيه أو كونه ممن يرجى منه ذلك كاف في الامتناع من العبوس والاعراض كيف وقد كان استركاؤه محققا ولما هضم من حقه في تعلق الرجاء به لا التحقق اعذر متعلق التزكى بعض الاوصار ترشيحا لذلك وفيه اظهار ما يقتضى مقام العظمة ههنا من اطلاق التزكى وحمله على ما ينطلق عليه الاسم لا الكامل وقال بعضهم متعلق الدراية محذوف أى ما يدريك أمره وعاقبة حاله ويطلق على ذلك وقوله سبحانه لعله الخ استشفاء وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك واعتبر في التزكى الكمال فقال أى لعله عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك واعتبر في التزكى الكمال فقال أى لعله يتطهر بما يقبس منك من أوصار الائم بالكلية أو يتذكر فتفعه موعظتك ان لم تبلغ درجة التزكى التام ولعل الاول أبعد مغزى وقدم التزكى على التذكر لتقدم التحلية على التحلية وخص بعضهم الثانى بما اذا كان ما يتعلمه من النوافل والاول بما اذا كان سوى ذلك وهو كما ترى وفي الآية تعريض واشعار بأن من تصدى صلى الله تعالى عليه وسلم تزكيتهم وتذكيرهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا فهى كقولك لمن يقرر مسألة لمن لا يفهمها وعنده آخر قابل لفهمها لعل هذا يفهم ما تقرر فانه يشعر بانه قصد تفهيم غيره وليس بأهل لما قصده وقيل جاء التعريض من جهة أن المحدث عنه كان متزكيا من الآثام متعظا وقيل ضمير لعله للكافر والترجى راجع الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أى انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وضمف بعدم تقدم ذكر الكافر وبافراد الضمير والظاهر جمعه أى بناء على المشهور في ان من تشاغل عليه الصلاة والسلام به كان جمعا وجاء في بعض الروايات انه كان واحدا وقرأ الاعرج وعاصم في رواية أو يذكر بسكون الذال وضم الكاف وقرأ الاكثر فتفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب قرأ عاصم في المشهور والاعرج وأبو حيوة وابن أبى عمير والزعفرانى وهو عند البصريين باضمار أن بعد الفاء وعند الكوفيين في جواب الترجى وهو كالتنى عندهم ينصب في جوابه وفي الكشف أن النصب يؤيد رجوع ضمير لعله على الكافر لاشمام الترجى معنى التنى لبعده المرجو من الحصول أى بالنظر الى المجموع اذ قد حصل من العباس وعلى السابق وجهه ترشيح معنى الهضم فتذكر (امان استغنى) أى عن الايمان وعمما عندك من المعلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن وفي معناه ما قيل استغنى بكفره عما يهديه وقيل اى وأما من كان ذا ثروة وغنى وتمقب بأنه لو كان كذلك لذكر الفقر في مقابله وأجيب بما استعمله ان شاء الله تعالى (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) أى تصدى وتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصاحبته

فان الاقبال على المدبر محل بالمرودة ومن هنا قيل

لا ابتغى وصل من لا يبتغى صلتى * ولا ألين لمن لا يبتغى لبني

والله لو كرهت كفى مصاحبتى * يوما لقلت لها عن محبتي بيني

وقرأ الحرميان تصدى بتشديد الصاد على أن الاصل تتصدى فقلبت للتاء صاداً وأدغمت وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد مبنياً للمفعول أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى والتعرض له داع من الحرص ومزيد الرغبة في اسلامه . وأصل تصدى على ما في البحر تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال دارى صدد داره أى قبالتها وقيل من الصدى وهو العطش وقيل من الصدى وهو الصوت المعروف ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزِيدُكَ ﴾ وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عن أسلم فما نافية والجملة حال من ضمير تصدى والمنوع عنه في الحقيقة الاعراض عن أسلم لا الاقبال على غيره والاهتمام بأمره حرصاً على اسلامه ويجوز أن تكون ما استفهامية للانسكار أى أى شئ عليك في أن لا يتزكى وما له النفي أيضاً ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ أى حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴾ أى يخاف الله تعالى وقيل أذية الكفار في الايمان وقيل العثار والكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أن جملة يسعى حال من فاعل جاءك واستظهر بعض الافاضل أن النظم الجليل من الاحتباك ذكر الغنى أو الالذلاله على الفقر ثانياً والجهي والحشية ثانياً للدلالة على ضدها أولاً وكأنه حمل استغنى على ما نقل أخيراً واستشعر ما قيل عليه فاحتاج لدفعه الى هذا التكلف وعدم الاحتياج اليه على ما نقلناه في غاية الظهور ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ تتشاغل يقال لهي عنه كرضي ورمى والتهى وتلهي . وفي تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام وتقديمه وعنه قيل للتعريض بالاهتمام بضمونها وقيل للمناية لانهما منشأ العتاب وقيل للفاصلة وقيل للحصر وذكر التصدى في المستغنى دون الاشتغال به وهو المقابل للتلهي عن المسرع الخاشي والتلهي عنه دون عدم التصدى له وهو المقابل للتصدى لذلك قيل للاشعار بأن العتاب للاهتمام بالاول لا للاشتغال به اذ الاشتغال بالكفار غير ممنوع وعلى الاشتغال عن الثاني لانه لا اهتمام له صلى الله تعالى عليه وسلم في أمره اذ الاهتمام غير واجب لانه عليه الصلاة والسلام ليس الا منذراً وقرأ البري عن ابن كثير عنوه تلهي بادغام تاء المضارعة في تاء الفعل وأبو جعفر تلهي بضم التاء مبنياً للمفعول أى يشغلك الحرص على دعاء الكافر الاسلام وطلحة تلهي بتامين وعنه بناء واحدة وسكون اللام ﴿ كَلَّا ﴾ مبالغة في ارشاده صلى الله تعالى عليه وسلم الى عدم معاودة ما عوتب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نزل ذلك كما في خبر رواه ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس بعد أن قضى عليه الصلاة والسلام نجواه وذهب الى أهله وجوز كونه ارشاداً بليغاً الى ترك المعاتب عليه عليه الصلاة والسلام بناء على أن النزول في أثناء ذلك وقبل انقضائه وفي بعض الآثار أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما عبس في وجه فقير ولا تصدى لغنى وتأدب الناس بذلك أدباً حسناً فقد روى عن سفيان الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء والضمير في قوله تعالى ﴿ إِنَّهَا ﴾ للقرآن العظيم والتسائيت لنا نيت الخبر أعنى قوله سبحانه ﴿ تَذَكَّرَ ﴾ أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها وكذا الضمير في قوله عز وجل ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴾ والجملة المؤكدة تمليل لما أفادته كلا بيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له

والجملة الثانية اعتراض جيء به لاترغيب في القرآن والحث على حفظه أو الامتناع به واقتران الجملة المترض بها بالفاء قد صرح به ابن مالك في التسهيل من غير نقل اختلاف فيه وكلام الزمخمرى في الكشاف عند الكلام على قوله تعالى فاسألوا أهل الذكر نص في ذلك نعم قيل إنه قيل له فن شاء ذكره اعتراض فقال لا لان الاعتراض شرطه أن يكون بالواو أو بدونه فاما بالفاء فلا أى وهو استطراد لسكن تعقب بأن النقل لمنافاه ذلك ليس بثبت ويمكن أن يكون في القوم من ينكر ذلك فوافق تارة وخالفه أخرى ومألف قول السعد في التلويح الاعتراض يكون بالواو والفاء في قاعلم فعلم المره ينفعه في هذا وقيل الضمير الاول للسورة أو الآيات السابقة والثاني للذكر والتذكير لانهما بمعنى الذكر والوعظ أو لرجع الاول والتذكير باعتبار كون ذلك قرآنا ورجح بعدم ارتكاب التأويل قبل الاحتياج إليه وتعقب بأنه ليس بذلك فان السورة أو الآيات وان كانت متصفة بما سيأتى ان شاء الله تعالى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتى ان شاء الله تعالى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وجوز كون الضميرين للمعانية الواقعة وتذكير الثاني لكونها عتاباً وفيه أنه ياباه الوصف بالصفات الآتية وان كان باعتبار أن الكتاب وقع بالآيات المذكورة قبل وهي متصفة بما ذكر جاء ما سمعت آفا وقيل لك أن تجعلهما للدعوة الى الاسلام وتذكير الثاني لكونها دعاء وهذا على ما فيه مما ياباه المقام وقوله تعالى (في صحف) متعلق بمضمرة هو صفة لتذكرة أو خبر ثان لان أى كائنة أو مثبتة في صحف والمراد بها الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ وعن ابن عباس هي اللوح نفسه وهو غير ظاهر وقيل الصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقيل صحف المسلمين على أنه اخبار بالغيب فان القرآن بمكة لم يكن في الصحف وانما كان متفرقا في الدفاف والحريدونحوها واول ما جمع في صحيفة في عهد أى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو كما ترى (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى في السماء السابعة كما قال يحيى بن سلام أو مرفوعة القدر كما قيل (مطهرة) منزهة عن مساس أيدي الشياطين أو عن كل دنس على ما روى عن الحسن وقيل عن الشبه والتناقص والاول قيل مأخوذ من مقابلته بقوله تعالى (بأيدي صفر) أى كنية من الملائكة عليهم السلام كما قال مجاهد وجماعة فانهم ينسخون الكتب من اللوح وهو جمع سافر أى كاتب والمصدر السفر كالضرب وعن ابن عباس هم الملائكة المتوسطون بين الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام على أنه جمع سافر أيضا بمعنى سفير أى رسول وواسطة والمشهور في مصدره بهذا المعنى السفارة بكسر السين وفتحها وجاء فيه السفر أيضا كما في القاموس وقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم سفراء بين الله تعالى والامة أو لانهم يكتبون الوحي ولا يخفى بعده فان الانبياء عليهم السلام وظيفتهم التلقى من الوحي لا الكتب لما يوحى على أن خاتمهم صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يكتب القرآن بل لم يكتب أصلا على ما هو الشائع وقد مر تحقيقه وكذا وظيفتهم ارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب بن منبه أنهم أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لانهم سفراء ووسائط بينه عليه الصلاة والسلام وبين سائر الامة وقيل لان بعضهم يسفر الى بعض في الخير والتعليم والتعلم وفي رواية عن قتادة انهم القراء وكان القولين ليس للمول عليه وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة عليهم السلام لانكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة ومادتها موضوعة بجمع تراكيها لما يتضمن الكشف كسرفت المرأة اذا كشفت القناع عن وجهها والباه قيل متعلقة بمطهرة

وقيل بمضمر هو صفة أخرى لصحف (كِرَامٍ) أى اعزاء على الله تعالى معظمين عنده عز وجل فهو من الكرامة بمعنى التوقير أو تمططين على المؤمنين يستغفرون لهم ويرشدونهم الى ما فيه الخير بالاظهار وينزلون بما فيه تكليلهم من الشرائع فهو من الكرم ضد اللؤم (بِرَّوَةٍ) أى اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان ير خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه وهو جمع بر لا غير وأما ابرار فيكون جمع بر كبر وارباب وجمع بار كصاحب وأصحاب وان منه بعض النحاة لعدم اطراده واختص على ما قيل الجمع الاول بالملائكة والثانى بالآدميين في القرآن ولسان الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ذلك لان ابرار من صيغ الفلة دون البررة ومتقو الملائكة اكثر من متقو الآدميين فناسب استعمال صيغة الفلة وان لم ترد حقيقتها في الآدميين دونهم وقال الراغب خص البررة بهم من حيث انه ابلغ من ابرار فانه جمع بر وابرار جمع بار وير ابلغ من بار كما ان عدلا ابلغ من عادل وكأنه عنى ان الوصف ير ابلغ لكونه من قبيل الوصف بالصدر من الوصف ببار لكن قد سمعت ان ابرار يكون جمع بر كما يكون جمع بار وايضا في كون الملائكة أحق بالوصف بالابلق بالنسبة الى الآدميين مطلقا بحث وقيل أن ابرار ابلغ من البررة اذ هو جمع بار والبررة جمع بر وبار ابلغ منه لزيادة بنيته ولما كانت صفات الكمال في بنى آدم تكون كاملة وناقصة وصفوا بالابرار اشارة الى مدحهم باكل الاوصاف وأما الملائكة فصفات الكمال فيهم لا تكون ناقصة فوصفوا بالبررة لانه يدل على أصل الوصف بتقطع النظر عن المبالغة فيه لعدم احتياجهم لذلك واشارة لفضيلة البشر لما في كونهم ابرارا من المجاهدة وعصيان داعي الجيلة وفيه ما لا يخفى ومن استعمال البررة في الملائكة ما أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفارة الكرام البررة والذى يقرأه وهو عليه شاق له اجران (قَتِيلَ الْإِنْسَانِ) دعاء عليه باشنع الدعوات وأفظها (مَا أَكْفَرَهُ) تمجيب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه والمراد به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعمته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايان به وإما الجنس باعتبار انتظامه له ولا مثاله من افراده ورجح هذا بأن الآية نزلت على ما أخرج ابن المنذر عن عكرمة في عتبة بن أبى لهب غاضب اياه فأسلم ثم استصلحه أبوه واعطاه ما لا وجهه الى الشام فبعث الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ابعث عليه كتابك حتى يفترسه فلما كان في اثناء الطريق ذكر الدعاء فجعل من معه ألف دينار أن أصبح حيا فعملوه وسط الرفقة والمتاع حوله فأقبل أسد الى الرجال ووثب فاذا هو فوفوه فزقه فكان أبوه يندبه ويبيكى عليه ويقول ما قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا قط الا كان وسيأتى ان شاء الله تعالى خبر في هذه القصة أطول من هذا الخبر فلا تغفل ثم ان هذا كلام في غاية الايجاز وقد قال جبار الله لا ترى أسلوبا اغاظ منه ولا ادل على سخط ولا أبعث شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر متنه حيث اشتمل على ما سمعت من الدعاء مرادا به اذ لا يتصور منه تعالى لازمه وعلى التعجب المراد به لاستحالة عايه سبحانه التعجب لكل سامع وقال الامام ان الجملة الاولى تدل على استحقاقهم اعظم انواع العقاب عرفا والثانية تنبيه على أنهم اتصفوا بأعظم انواع القبائح والمنكرات شرعا ولم يسمع ذلك قبل نزول القرآن وما نسب الى امرى القيس من قوله

يتننى المرء في الصيف الشتا ❦ فاذا جاء الشتا انكره

فهو لا يرضى بحال واحد ❦ قتل الانسان ما اكفره

لأصل له ومن له ادنى معرفة بكلام العرب لا يجهل ان قائل ذلك مولد اراد الاقتباس لاجاهل وجوز بعضهم ان يكون قوله تعالى قتل الانسان خيرا عن أنه سيقتل الكفار بانزال آية القتال وعبر بالماضي مبالغة في أنه سينتقم ذلك وليس بشيء ونحوه ما قيل أن ما استفهامية أى أى شيء أ كفره أى جملة كافراً بمعنى لا شيء يسوع له أن يكفر وقوله تعالى (**مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ**) شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما أقاض عز وجل عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لان تقابل بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك والاستفهام قيل للتحقير وذكر الجواب أعنى قوله تعالى (**مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ**) لا يقتضى أنه حقيقى لانه ليس بجواب في الحقيقة بل على صورته وهو بدل من قوله سبحانه من أى شيء خلقه وجوز أن يكون للتحقير والتحقير مستفاد من نية المنكر وقيل التحقير يفهم أيضا من قوله سبحانه من نطفة الخ أى من أى شيء حقير موبن خلقه من نطفة مذرة خلقه (**قَدْرَةً**) فهياها لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال فالتقدير بمعنى التهيئة لما يصلح ولذا ساغ عطفه بالفاء دون التسوية لان الخلق بمعنى التقدير بهذا المعنى أو يتضمنه فلا تصلح الفاء وجوز أن يكون هذا تفصيلا لما أجل أولا في قوله تعالى من أى شيء خلقه أى فقدره أطوارا الى أن أنتم خلقه (**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ**) أى ثم سهل مخرجه من البطن كما جاء في رواية عن ابن عباس بان فتح فم الرحم ومدد الاعصاب في طريقه ونكس رأسه لاسفل بمسد ان كان في جهة العلو وعن ابن عباس أيضا وتنادة وأبى صالح والسدى المراد بالسبيل سبيل النظر القويم المؤدى الى الايمان وتيسيره له هوهبة العقل وتمكينه من النظر وقال مجاهد والحسن وعطاء وهو رواية عن الجبر أيضا هو سبيل الهدى والضلال أى سهل له الطريق الذى يريد سلوكه من طريق الخير والهدى وطريق الشر والضلال بان أقدره عز وجل على كل ومكنه منه والاقدار على المراد نعمة ظاهرة بقطع النظر عن خيرته وشره فلا يرد عليه انه كيف يعد تسهيل طريق الشر والضلال من النعم وقيل انه عد منها لانه لو لم يكن مسهلا كسبيل الخير لم يستحق المدح والثواب بالاعراض عنه وتركه وهو مبنى على القول بان ترك المحرم كالزنا مع عدم القدرة عليه لعنة مثلا لا يثاب عليه وقيل يثاب ويمدح عليه اذا قدر التارك في نفسه انه لو تمكن لم يفعل وقال بعضهم المعجز عن الشر نعمة وأنشد

جكونه شكر ابن نعمت كزارم * كه زور مردم آزارى ندارم

ونصب السبيل بمضمر يفسره الظاهر وفيه مبالغة في التيسير وتمكين في النفس بسبب التكرير قيل وفي تعريفه باللام دون الاضافة اشعار بعمومه فانه لو قيل سبيله أو هم انه على التوزيع وان اسكل انسان سبيلا يخصه وخص بهم هذه النكته بالمعنى الاخير للسبيل فتدبر وعلى هذا المعنى قيل ان فيه ايماء الى ان الدنيا طريق والمقصد غيرها لما أشعرت به الآية من ان اليسر سبيل المسكفين الذى يترتب عليه الثواب والعقاب وفيه خفاء وأياما كان فالضمير المنصوب في يسره للسبيل وليس في التفكيك لبس حتى يكون نقصا في البيان (**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**) أى جملة ذا قبر توارى فيه جيفته تكرمة له ولم يجعله مطروحا على الارض يستقذره من براه وتقسمة السباع والطيور اذا ظفرت به كسائر الحيوان والمراد من جملة اذا قبر أمره عز وجل بدفنه يقال قبر الميت اذا دفنه بيده ومنه قول الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * عاش ولم ينقل الى قابر

واقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه في الآية إشارة الى مشروعية دفن الانسان وهى مما لا خلاف فيه وامادفن غيره من الحيوانات فقيل هو مباح لا مكروه وقد يطلب الامر مشروع يقتضيه كدفع أذى جيفته مثلا وعدالاماته

من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والتعيم المقيم وخصت هذه النعم بالذكر لما فيها من ذكر أحوال الانسان من ابتدائه الى انتهائه وما تتضمن من النعم التي هي محض فضل من الله تعالى فاذا تأمل ذلك العاقل علم قبح الكفر وكفران نعم الرب سبحانه وتعالى فشكره جل وعلا بالايان والطاعة ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أى اذا شاء انشره على القاعدة المعروفة في حذف مفعول المشبهة وفي تعليق الاشار بمشيئته تعالى ايدان بان وقته غير معين أصلا بل هو تابع لها وهذا بخلاف الامانة فان وقتها معين اجمالا على ما هو المهم وفي الاعمار الطبيعية وكذا الحال في وقت الاقبار بل هو أظهر في ذلك وقرأ شعيب بن الحجاب كما في كتاب اللوامح وابن أبي حمزة كما في تفسير بن عطية نشره بدون همزة وهانفتان في الاحياء وقوله تعالى ﴿ كَلَّا ﴾ ردع للانسان عما هو عليه من كفران النعم البالغ نهايته وقوله سبحانه ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ بيان لسبب الردع ولما نافية جازمة وفيها غير منقطع وما موصولة وضمير أمره اما للانسان كالمستتر في يقض والعائد الى الموصول محذوف أى به أو للموصول على الحذف والايصال والعائد الى الانسان محذوف أى اياه قيل والثاني أحسن لان حذف المفعول أهون من حذف العائد الى الموصول والمراد بما أمره جميع ما أمره والمعنى على ما قال غير واحد لم يقض من أول زمان تكليفه الى زمان أماته واقباره أو من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده جميع ما أمره فلم يخرج من جميع أو أمره تعالى اذ لا يخلو أحد عن تقصير ما ونقل هذا عن مجاهد وقسادة وفيه حمل عدم القضاء على نفي العموم وتمقب بانه لا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كبرائه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده واختير أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي أما على أن المحكوم عليه هو الانسان المستغنى أو هو الجنس لكن لاعلى الاطلاق بل على ان صدق الحكم بعدم القضاء بمض أفراده وقد أسند الى السكك كما في قوله تعالى ان الانسان لظلم كفار وأما على أن مصداقه السكك من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب السككى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراد ما أمره بل أدخل به بعضها بالكفر والمصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النماء الشاملة للسكك أن لا يتخلف عنه أحد وعن الحسن ان كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقل يسمل بما أمره به وقيل ان فورك الضمير في يقض لله تعالى أى لم يقض الله تعالى لهذا الكافر ما أمره به من الايمان بل أمره اقامة للحجة عليه بما لم يقض له ولا يخفى بعده والظاهر عليه أن كلا بمعنى حقا أيضا وقوله سبحانه ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ على معنى اذا كان هذا حال الانسان وهو أنه الى الآن لم يقض ما أمره مع أن مقتضى النعم السابقة القضاء فلينظر الى طعامه الخ لعله يقضى وفي الحوائى الصاسبة لا يخفى ما في قوله تعالى لما يقض ما أمره من كمال تهيبج الانسان وتحريضه على امتثال ما يعقبه من الامر بالنظر وتفريع الامر عليه وبنى على أن الاتهام كما ينبغي ان يتيسر بعد الارتداد عما هو عليه والظاهر أن المراد بالانسان هنا نحو ما أريد به في قوله تعالى قتل الانسان ولما جوز صاحب الحوائى المذكورة حمل عدم القضاء على السلب الكلى وجعل الكلام في الانسان المبالغ في الكفر قال المراد بضمير يقض غير الانسان الذى أمر بالنظر فانه عام فلذا أظهر وتضمن ما مر ذكر النعم الثانية أى ما يتعلق بذات الانسان من الذات نفسها ولو ازمها وهذا ذكر النعم الخارجية المقابلة لتلك وقيل الاولى نعم خاصة والثانية نعم عامة وقيل تلك نعم متعلقة بالحدوث وهذه نعم متعلقة بالبقاء وفيه نظر والظاهر أن المراد بالطعام المطعوم بانواعه واقتصر عليه ولم يذكر المشروب لان آثار القدرة فيه أكثر من آثارها في المشروب واعتبار التقلب لا يخفى ما فيه وقوله تعالى ﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ ﴾ بدل منه بدل اشتغال فانه لكونه من أسباب

تكونه كالمشتمل عليه والعائد محذوف أى صبينا له وجوز كونه بدل كل من كل على معنى فلينظر الانسان الى انعامنا في طعامه انا صبينا الخ وهو كما ترى وأياما كان فالمقصود بالنظر هو البدل وبذلك يضعف ما روى عن أبى وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم أن المعنى فلينظر الى طعامه اذا صار رجيماً ليتأمل عاقبة الدنيا وما تهالك عليه أهلها ولعمري ان هذا بعيد الارادة عن السياق ولاأظن انه وقع على صحة روايته عن هؤلاء الاجلة الاتفاق وظاهر الصب يقتضى تخصيص الماء بالغيث وهو المروى عن ابن عباس وجوز بعضهم ارادة الاعم وقال ان في كل ماء صبا من الله تعالى يخلق أسبابه على اصول النباتات وأنت تعلم أن إيصال الماء الى أصول النباتات يبعد تسميته صبا وتأكيد الجملة للاعتناء بمضمونها مع كونها مظنة لانكار القاصر لعدم الاحساس بفعل من الله تعالى وإنما يعرف الاستناد اليه عز وجل بالنظر الصحيح وقرأ الأكثر إنما بالكسر على الاستداف اليباني كانه لما أمر سبحانه بالنظر الى ما رزقه جل وعلا من أنواع الماء كولات قيل كيف أحدث ذلك وأوجد بعد ان لم يكن فقيل انا صبينا الخ وقرأ الامام الحسين بن أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجههما ورضى سبحانه عنهما انى صبينا بفتح الهزرة والامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صبينا الماء (صبياً) عجباً (ثم شققنا الارض) أى بالنبات كما قال ابن عباس (شققاً) بديما لا ثقاً بما يشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة وقيل شققها بالكرب واسناده الى ضميره تعالى مجاز من باب الاسناد الى السبب وان كان الله تعالى عز وجل هو الموجد حقيقة فقد تبين في موضعه أن اسناد الفعل حقيقة لمن قام به لا من صدر عنه ايجاداً ولهذا يشتق اسم الفاعل له وتعقب بانه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حياً) فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلاً ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفاضلة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المهودة كما ينبيء عنه ارداف الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم محل المرام وللبحث فيه مجال وقيل عليه أيضاً أن انشق بالكرب لا يظهر في العنب والزيتون والنخل وأجيب بانه ليس من لوازم العطف تقييد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه ويحتمل أن يكون ذكر الكرب في القيل على سبيل التمثيل أو أريد به ما يشمل الحفر وجوز أن يكون المراد شققها بالعيون على أن المراد بصب الماء امطار المطر وبهذا اجراء الانهار وتعقب بانه يأباه ترتب الشق على صب الماء بكلمة التراخي وأيضاً ترتب الانبات على مجموع الصب والشق بالمعنى المذكور لا يلائم قوله تعالى وأزلنا من المصبرات ماء تجاجا لخرج به حيا الآية لاشعاره باستقلال الصب وازال الغيث في ذلك ودفعاً بان ماء العيون من المطر لا من الابخرة المحتبسة في الارض ولا يخفى على ذى عين أن هذا الوجه بعيد متكلف والمراد بالحب جنس الحبوب التى يتقوت بها وتدخر كالحنطة والشعير والذرة وغيرها (وعنباً) معروف (وقصباً) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال هو الفصصة وقيدها الحليل بالرطبة وقال اذا يست فهمى الفت وسميت بمصدر قضبه أى قطعه بمالفة كأنها لتكرر تمصها وتكثره نفس القطع وضمف هذا من فسر الاب بما يشمل ذلك وقيل هو كل ما يقضب لياأكله ابن آدم غضا من النبات كالبقول والهلبيون وفي البحر عن الجبر أنه الرطب وهو يقضب من النخل واستأنس له بذكره مع العنب ولا يخفى ما فيه (ورزيتونا ونخلنا) هما معروفان (وحداً ثقي) رياضاً (غلباً) أى عظاماً وأصله جمع أغلب وغلباء صفة العنق وقد يوصف به الرجل لكن الاول هو الاغلب ومنه قول الاعشى

يسمى بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل (١) جلالات

ووصف الحدائق بذلك على سبيل الاستعارة شبه تكاتف أوراق الأشجار وعروقها بفاظ الأوداج وانتفاخ الأعصاب مع اندماج بعضها في بعض في غلظ الرقبة ولا يرد أن الغلظ في الأشجار أقوى لأن الأمر بالعكس نظراً إلى الاندماج وتقوى البعض بالبعض حتى صارت شيئاً واحداً وجوز أن يكون هناك مجاز مرسل كما في المرسن بأن يراد بالأغلب الغليظ مطلقاً وتجوز في الإسناد أيضاً لأن الحدائق نفسها ليست غليظة بل الغليظ أشجارها وقال بعض المراد بالحدائق نفس الأشجار مسكان العطف على ما في حيز أنبتنا فلا تغفل (وَفَاكِهَةً) قيل هي الثمار كلها وقيل بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان وأياً ما كان فذكر ما يدخل فيها أولاً للاعتناء بشأنه (وَأَبًا) عن ابن عباس وجاعة أنه السكلا والمرعى من أبيه إذا أمه وقصده لأنه يؤم ويقصد أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيء المرعى ويطلق على نفس مكان السكلا ومنه قوله

(٢) جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الأب بها والمسكر

وذكر بعضهم أن ما يأكله الآدميون من الثبات يسمى الحصيد والحصيد وما ياكله غيرهم يسمى الأب وعليه قول بعض الصحابة يمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا * بها يلبث الله الحصيد والأبا

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك أنه التبن خاصة وقيل هو يابس الفاكهة لأنها تؤب وتها لاشتاء لتفككها بها وأخرج أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الأب ما هو فقال أي سماء تظلي وأي أرض تظلي إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحكم ومجحه وغيرهم عن أنس أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ على المنبر فأنبتنا فيها حبا وعبأ إلى قوله وأبا فقال كل هذا قد عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمرك هو تكلف فما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ابتغوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه وفي صحيح البخاري من رواية أنس أيضا أنه قرأ ذلك وقال فما الأب ثم قال ما كلفنا أوما أمرنا بهذا ويتراعى من ذلك النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته وفي الكشف لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا فراد رضي الله تعالى عنه أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاه شكره وقد علم من خواها أن الأب بعض ما أنبت سبحانه للإنسان مناعاله أو لانعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر له عز وجل على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمته تعالى ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجمالية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصي الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن انتهى وهو قصارى ما يقال في توجيه ذلك لكن في بعض الآثار عن الفاروق كما في الدر المنثور ما يبعد فيه إن صح هذا التوجيه في شيء وهو أنه ينبغي أن يخفاء تعيين المراد من الأب على الشيخين رضي الله عنهما ونحوها من الصحابة وكذا الاختلاف فيه لا يستدعى كونه غريباً بخلا بالفصاحة وأنه غير مستعمل عند العرب العرباء وقد فسره ابن عباس لابن الأزرق بما تغلف منه الدواب واستشهد به بقول الشاعر تترى به الأب واليقطين مختلطا * ووقع في شعر

(١) الكحيل مصغر وهو النقط يطلى به الجرب اه منه

(٢) جذمنا بكسر الجيم أي أصلنا اه منه

بعض الصحابة كما سمعت ومن تتبع وجد غير ذلك (مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نِعَامًا لَكُمْ) قيل اما مفعول له اي فمسل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم ويوزع وينزل كل على مقتضاء والاتفات لتكبير الامتنان واما مصدر مؤكد لفظه المضمر بحذف الزوائد اي تمتعكم بذلك متاعا أو لفعل مرتب عليه أي فتمتعتم بذلك متاعا أي تمتعا أو مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتع وقدمر الكلام في نظيره فتذكر (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعِقَةُ) شروع في بيان أحوال معادهم بعد بيان ما يتعلق بخلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يشعر به لفظ المتاع من سرعة زوالها تيك النعم وقرب اضمحلالها والصاعقة هي الداهية العظيمة من صخ بمعنى أصاخ اي استمع والمراد بها النعخة الثانية ووصفت بها لان الناس يصخون لها فجلت مستمعة مجازا في الظرف أو الاسناد وقال الراغب الصاعقة شدة صوت ذى النطق يقال صخ يصخ فهو صاخ فمليه هي بمعنى الصاعقة مجازا أيضا وقيل مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه وقال الخليل هي صيحة تصخ الأذان صخا أي تصمها الشدة وقتها ومنه أخذ الحافظ أبو بكر بن العربي قوله الصاعقة هي التي تورث انصم وانها لمسمعة وهو من بديع الفصاحة كقوله * أصم بك الداعي وان كان اسمعا * ثم قال ولعمري الله تعالى ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة والكلام في جواب اذا وفي يوم من قوله تعالى (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) أي زوجته (وَبَنِيهِ) على نحو ما تقدم في التازعات فتذكره فسا في العهد من قدم أي يوم يمرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه كما يؤذن به قوله تعالى (لِكُلِّ امْرءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار وجملة جواب اذا والاعتذار عن عدم التصدير بالفاء بتقدير الماضي بغير قد أو المضارع المثبت أو بالفاء ابدال يوم يفر المرء عنه اياه لان ابدال لا يطلب جزاء لا يخفى حاله على من شرط الانصاف على نفسه أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي والحاكم وصححه عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة قالت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غر لا قد الجهم العرق وبلغ شحوم الأذان قلت يا رسول الله واسواتاه ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس عن ذلك وتلا يوم يفر الآية وجاء في رواية الطبراني عن سهل بن سعد انه قيل له عاينه الصلاة والسلام ما شغلهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نشر الصحائف فيها مناقيل الذر ومناقيل الخردل وقيل يفر منهم لعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا وكلام الكشاف يشمر بذلك وبأباه ما سمعت وكذا ما قيل يفر منهم حذرا من مطالبهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا ويشمر بذلك ما أخرج أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة قال ليس شيء أشد على الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطلبه بمظلمة ثم قرأ يوم يفر الآية وذكر المرء بناء على أنه الرجل لا الانسان ليعلم منه حال المرأة من باب أولى وقيل هو من باب التقليل وفيه نظر وجعل القاضي ذكر المتعاطفات على هذا النمط من باب الترقى على اعتبار عطف الاب على الام سابقا على عطفها على الاخ فيكون المجموع معطوفا عليه وكذا في صاحبه وبنيه فقال تأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبه وبنيه ولا يخفى تكلفه مع اختلاف الناس والطباع في أمر الحب ولعل عدم مراعاة ترق أو تدل لهذا الاختلاف مع الرمز الى أن الامر يومئذ أبعد من أن يخاطر بالبال في ذلك وروى عن ابن عباس أنه يفر قابيل من أخيه هايل ويفر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أمه ويفر

ابراهيم عليه السلام من أبيه ويفر نوح عليه السلام من ابنه ويفر لوط عليه السلام من امرأته وفي خبر رواه ابن عساکر عن الحسن نحو ذلك وفيه فيرون أن هذه الآية أعنى يوم يفر الخ تزلت فيهم وكلا الحربين لا يعمل عليهما ولا يلبغي أن يلتفت اليهما كإلا يخفى والذي أدين الله تعالى به نجاة أبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ألفت رسائل في ذلك رغما لانف على القارى ومن وافقه وأعتقد أن جميع آباءه عليه الصلاة والسلام لاسيما من ولداه وبلا واسطة أوفر الناس حظا مما أوتى هناك من السعادة والشرف وسمو القدر

كم من أب قد سما بابن ذرى شرف بسم كما سما برسول الله عدنان

وقرأ ابن محيصة وابن أبي عبلة ومحمد وابن السمينغ بعنيه بفتح الياء وبالعين المهملة أى بهم من عناء الامر اذا أهمل أى أوقفه في الهم ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه لا من عناء اذا قصده كما زعمه أبو حيان وقوله تعالى (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ**) بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه في حيز التنوين كما مر ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضيئة متلهة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس ان ذلك من قيام الليل وعن الضحاك من آثار الوضوء فيختص ذلك بهذه الامة أى لان الوضوء من خواصهم قيل أى بالنسبة الى الامم السابقة فقط لامع أنبيائهم عليهم السلام وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى (**ضاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ**) أى مسرورة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ**) أى غبار وكدورة (**تَرَهَّطًا**) أى تملوها وتتشاها (**قَتَرَةٌ**) أى سواد وظلمة ولا ترى أوحش من اجتماع الغرة والسواد في الوجه وسوى الفير وزابادى والجوهري بين الغبرة والقطرة فليل المراد بالقطرة الغبار حقيقة وبالغبرة ما يمشاهم من العبوس من الهم وقيل هما على حقيقتهما والمعنى ان عليها غبارا وكدورة فوق غبار وكدورة وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت الى الارض والقطرة ما ارتفع الى السماء والمراد وصول الغبار الى وجوههم من فوق ومن تحت والمعول عليه ما تقدم وقرأ ابن أبي عبلة قطرة بسكون التاء (**أُولَئِكَ**) اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايدان ببعد درجاتهم في سوء الحال أى أولئك الموصوفون بما ذكر (**هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ**) أى الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى لهم بين الغبرة والقطرة وكان الغبرة للفجور والقطرة للكفور نعوذ بالله عز وجل من ذلك

سورة التكوير

ويقال سورة كورت وسورة اذا الشمس كورت وهى مكية بلا خلاف وآياتها تسع وعشرون آية وفي التيسير ثمان وعشرون وفيها من شرح حال يوم القيامة الذى تضمنه آخر السورة قبل ما فيها وقد أخرج الامام أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أى السور الثلاث وكفى بذلك مناسبة

(**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**) أى لفت من كورت العمامة اذا لفتها وهو مجاز عن رفعها (١) وازالتها من مكانها بملاقاة الزوم فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ثم يرفع ونحوه قوله تعالى يوم تطوى السماء ويجوز أن يراد لف ضوئها المنبسط في الآفاق

(١) ولعل القرينة النسبة اه منه